توظيف الرمز وأثره في تماسك النص في شعر صباح عنوز

أ .م. د. كاظم عبد الله عبد النبي
كلية الإمام الكاظم(عليه السلام)

(توظيف الرمز وأثره في تماسك النص في شعر صباح عنوز)

الملخص

يتناول البحث أثر الرمز في تماسك النص في شعر صباح عبلس عنوز في ديوانه(من يحتسي الشوق) ، وحاول البحث أنْ يكشف فاعلية ذلك الرمز ، عندما يصنع الشاعر ارتباطا نصياً بين أحداث عاشها أو أحسَّ بها أو تخيلها في أثناء البوح بتجربته الشعرية ، وبين ما يختزله الرمز من معانٍ قريبة ، وهي إحالات مقامية ساعدت في تماسك النص فضلاً عن معاونة أدوات تماسك النص الأخرى ، وقد استثمر الشاعر كثيرا من الرموز الاغريقية والبابلية والشخصيات الأدبية .. وغيرها ممن كان إيحاؤها مشابهاً لإحساس الشاعر الذي قام بعقد الصلة من خلال ضمه لتلك الرموز في نصوصه الشعرية ؛ ليُبقي الاتصال ممتداً في مفاصل النص ، وجاءت الدراسة في ثلاثة مباحث: تضمن المبحث الأول: تماسك النص عن طريق الرمز في الوحدات المعجمية ، وعرض المبحث الثاني: تماسك النص عن طريق الرمز الأسطوري ، وكشف المبحث الثالث تماسك النص عن طريق الرمز بالقناع ، وسار تحليل النص على وفق هذه المباحث.

Investment of symbol and its effect on text cohesion the poetry of Sabah Enooz

Asst. Prof. Dr. Kadhim Abdullah Abdul Nabi

Abstract

This study deals with the effect of symbol on text cohesion in the poetry of Sabah Enooz in this collection (*men Yahtisy Al- Shawqh = who sips yearning*); the researcher attempts to reveal the effectiveness of symbol. The poet works hardly to create a textual connection between events he had passed, feel or imagined and the close meanings or significances of the symbol; it is a situational case helps, with other devices, in text cohesion. The poet invested frequently the Greek and Babylonian symbols as well as the literary characters which had a similar suggestion to the poet's feelings. These symbols kept the connection among the text's articles.

The study includes three topics:- text's cohesion via symbol in the lexical units, text' cohesion via legend symbol and text' cohesion via covered symbol, respectively. Text analysis follows these topics.

التمهيد: مفهوم الرمز وعلاقته بتماسك النص

الرمز أسلوب أصيل واسع الانتشار يدخل في جميع العلوم والاتجاهات الانسانية تستعمله طبقات المجتمع كافة بحسب نوع التوظيف والعمل ، يتقنه الفنان وصاحب الحرفة وحتى الإنسان الاعتيادي الذي يميز بعض العلامات من غيرها ، ظهر في اللغة من بدايتها ومع كلِّ تطورٍ بل منذ ظهرت رموز الكتابة ، وعرفه الشعراء مُذ نظموا الشعر ، وظهر عند الشعراء العرب قديماً واتضحت ملامحه عند الشعراء الصوفيين. وقد تناول ظاهرة الرمز وتطورها وانواعها مجموعة من الدارسين[1].

وهو من العلامات الفارقة للشعر الحديث بعامة والشعر العراقي بخاصة ؛ وذلك ما وجدناه عند بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي وغيرهم ، وفي هذا الصدد يقول عبد الوهاب البياتي:((الرمز والأسطورة والقناع أهم أقانيم القصيدة الحديثة وبدونهم تجوع وتعرى وتتحول إلى مشروع ، أو هيكل عظمي لجثة ميتة)) [2] وعلى هذا تكون طبيعة العصر هي التي تتحكم في الذوق العام الذي يجعل المتلقي تواقاً لاستقبال مثل هكذا أسلوب يتصف بالإيحاء والغموض في اكتناه الدلالة الشعرية ، إذن فتوظيف الرمز يعين الشاعر على إلقاء تجربته معجونة بأطر مختلفة بحسب حاجته إلى التركيز على دلالة معينة أو صورة شعرية فيها إحساس مماثل أو قريب من الرمز.

ويحدث تماسك النص في الرمز عن طريق ربط وقائع حدثت أو تحدث عند الشاعر مع وقائع حصلت عند الرمز أو اتصف بها فتزداد رقعة التأويل ومساحة الدلالة ويرفل النص بالغموض الشفيف وبالإيحاء المشابه ، فيرسم الشاعر لوحات فنية ترتبط بين دلالة الرمز الخيالية ودلالة الشاعر الحسية وهو ربط صورة داخلية مخفية يتنفسها الشاعر بصورة خارجية معلنة فيتحوّل المعنى المفرد إلى معنى مشترك ليصبح التفاعل ممتدّاً في صورتين(صورة الرمز + صورة الشاعر)على أنْ يكون بينهما تماسك حميم ، حلقات وصل ، تديم عملية التواصل حتى لا تنفتح فجوة في أثناء حركة النص نحو الرمز المنتقى.

والمبدع يذوب في عالمه وبما يحويه من جمال في توافقه أو تناقضه ، ينفعل بالبيئة بمستواها المحلي والعالمي فيربط نصه أسطوريا – في بعض الأحيان- بالرموز العالمية ليعضد تجربته الإنسانية ويخرج من ربقة الإنتاج المحلي أو لإظهار سعة ثقافته. وقد لا يكون استلهام الرمز لدلالته المركزية الخاصة ، وإنّما الإفادة مما يشعه ذلك الرمز من دلالات قد تكون اضافية يستحدثها الشاعر ليضفي على الرموز دلالة جديدة يسهم الشاعر في تطورها ، وعلى هذا فالتماسك النصي عن طريق الرمز يحدث – عادة - بالإحالة المقامية(إحالة نص الشاعر على صورة الرمز)فضلاً عن أدوات التماسك الموجودة في النص كالتكرار والعطف والحذف.. وغيرها والتي تسهم في رفد النص بتماسك آخر. وشعر **صباح عباس جودي عنوز**[3] حافلٌ بأنواع الرموز والأساطير التاريخية والطبيعية والدينية والأدبية.. وغيرها فضلاً عن قصيدة القناع ، وهي علامات فارقة يتسم بها شعره.

أولاً: تماسك النص عن طريق الرمز في الوحدات المعجمية:

ونعني به الرمز الذي يتضمن في المفردات التي تعطي معنى أوسع منها أو تتشظى إلى معانٍ أخرى متعلقة بها في خلايا النص فتألّف معها حقولاً نفسية أو اجتماعية.. فيربط الشاعر بين بنية المفردة السطحية وبنيتها العميقة التي يسعى لتأجيجها في النص الشعري ، وكأنه يحاول إعادة إنتاج دلالة جديدة من تلك الرموز ..وقد وردت في شعر صباح عنوز رموز وظّفها بما تمليه عليه تجربته ، وعلى وفق هيكلية منسجمة مع طبيعة النص ، ومن الرموز التي أخذت عنده معاني واسعة(الحنظل ، البحر ، النخيل..)

1- تماسك النص بتوظيف رمزية الحنظل

يقول الشاعر مخاطبا أمّه:

أماهُ هذا الدمعُ بعثرَ لوعتي ... وأنا على شفة الأسى أتلملمُ
يا جُرح أيامي و يا وقد الحشا ... خرسَ الكلامُ وليسَ لي ما ازعمُ
يا لونَ أمنيتي وطلّة بسمتي ... يا مَن مشتْ فوقَ المواجع تطعمُ
أكبادها حلمُ الشباب بغصّةٍ ... لم تلتفتْ لوجودِها أو تندمُ
يا مَن شربت مِنَ المآسي حنظلاً ... كي لا يمسَّ صغارها ما يؤلِمُ[4]

الحزنُ يهيمن على النص إذ ذكر الشاعر الأسى مرتين ثمَّ ذكر(الدمع ، لوعتي ، جرح ، المواجع..) وهو توجعٌ على ركن من أركان الروح(الأم)إذ يؤلف حضورها أحلاماً ومواقفاً تولّد الأمل ، وهي الرابط الأقرب إلى النفس والتي تكون بقربها السعادة ، ونرى الألم طافحاً والحسرة بادية في إحساس الشاعر ، وهذه المعاني هيأت النص لاستقبال الرمز(المآسي **حنظلاً**)فحصل التماسك النصي عن طريق تكرار اللفظ(**الأسى-المآسي**) على أنّ الشاعر لم يستعمل الرمز استعمالاً مباشراً بل جعله من ضمن التركيب البياني(الاستعارة= "شربت من المآسي" + التشبيه "المآسي حنظلاً") وهذا يمنح الصورة إضاءة كبرى تبيّن عظم فقد الأمّ وأي أُمّ هذه العطوف التي تجرعت هموم الحياة المُرّة كطعم الحنظل ، فالشاعر انتقى ما يعبّر عن إحساسه عن طريق الرمز وهو((يختار ما يشاء من أدوات مهيأة للتعبير ويستغل ما يريد من عناصر متاحة للتحكم في مستويات النص))[5]والسعي في تعبئته من التأثير والانفعال.

الصعوبة في تحمل مرّ العيش	التماسك مع الرمز	رمز ذلك المعنى بالكلمة
مشتْ فوقَ المواجع المآسي	← ←	طعم الحنظل

2- تماسك النص بتوظيف رمزية البحر

والبحر من الرموز الأثيرة لدى الشعراء العرب ؛ لما له من دلالات عميقة وراسخة في الوعي العربي ، فيدل على الكرم والسعة والعمق ..وغيرها من الدلالات ، ويتخذ الشاعر البحر رمزاً لامتداد مدينته فيقول:

ومدينتي: باسطة كفاً فوقَ خدود *البحر*

والكفُّ الآخر يقبضُ شعلة نورٍ

تلثمُ صدرَ أنوثتها قبب ترضع من مأمنه

هي بحرٌ لأحرف يفتحُ أبواب الطاعة لله

من رمشِ شواطئه تفرُّ خطاياه

تنشقُّ سماء الكونِ ضياء هاطلةً شعراً وربيعاً

نازفةً حباً وصفاء(6)

يصفُ مدينته المشرفة على بحر خالٍ من الماء(بحر النجف)وصفاً جغرافياً ولكنه ملوناً بغرر الخيال الاستعاري الممزوج بالرمز(**باسطة كفاً فوقَ خدود *البحر***) لأنَّ الرمز((ايحائي بجوهره لا يكتفي بتصوير الأشياء المادية ، بل يسعى إلى نقل تأثيرها في النفس بعد أن يلتقطها الحس)) (7) وهو يرفع من شأن مدينته العالية ويجعل لها كفين ، الأول: مبسوط على أرض فوق مستوى البحر والثاني: يقبض شعلة من نور ، فالمدينة ترفل بالعلو في موقعها الجغرافي ، وطبيعتها العلمية ؛ لما تملك من مقومات معرفية وأدبية ؛ لكونها تحتضن حوزتها العلمية وجوامعها وهي تنعم بأنفاس الإمام علي(عليه السلام) وكلّ ألفاظ النص تدور حول هذه المعاني من قبيل(دين ، علم ، قبب ، مأمن ، شعراً) وهي تلقي على النص إيحاءات جمالية تسلط الضوء على معالم مدينته فيؤلف منها وعن طريق الرمز(بحر الأحرف) نسقاً نصياً يربط المعنى بين اتساع المدينة بسجاياها الكثيرة وبين اتساع الرمز ، وهو تماسك نصي جاء موائماً في بنائه الشعري وربط المعنى بمساقه ليتحول **البحر** الرمز إلى طاقة دلالية مستعارة أفاد منها الشاعر في تقوية قيمة النص الدلالية وتتويج صورة مدينته الجميلة المعطاء.

وقد يُبقي الشاعر ***البحر*** رمزا للسعة والعطاء متخذا من المجاز الاستعاري منفذا للتعبير والإثارة:

البحر الضاحك يرضعُ سفناً قادمةً من رحم الدنيا

أو يرمز إلى البحر في اضطرابه ليستمدَّ منه جانباً من الحركة والقوة .

فلنأخذ من ضوضاء البحر جناحاً

3- تماسك النص بتوظيف رمزية النخيل

ويجعل من النخلة رمزا لوالده ، إذ يقول راثيا له:

أيا ساكناً توطّنَ جفنَ الزمان

و يا خالداً في مرايا المكان

سلامٌ عليكَ ينطُقه سكوني

سلامٌ على لحظةٍ حيرى ترتقيني

على نخلة مزروعةٍ في عيوني

على طيفٍ تعدد في حضن المكان

سلامٌ على تمتمة الأماني

سلامٌ على صوتك الغائب مخنوق الصدى واللسان(8)

يطفو - في النص- الحزن المضمخ بالألم والاختناق ، وقد ظهر مهيمنا على الذات الشاعرة وتكرر على امتداد رقعة النص ، وهذا الإحساس ساعد في عملية التكوين ورسم صورة عميقة للحزن ؛ لأنَّ((الصورة دائماً ذات كيان نفسي وواقع فني ليس هو الواقع المعتاد في غِلَضِه وخشونته))(9) ويبدو أنَّ ألفاظ الحزن لم تكن كافية للشاعر لرسم ذلك البوح ما لم يشفعها بالتأثيرات التي تتكون في باطن النص ، وهذا جعله يتحرك نحو خانة الرمز ليستعين به لتقوية ذلك الإحساس ، فانتقى النخلة كمعادل موضوعي لصورة والده لما تحمل هذه الشجرة من معانٍ كبيرة كالقوة والشموخ والارتفاع والخشونة والجمال في بناء استعاري مزدوج(على نخلة + مزروعةٍ في عيوني)**الأب= نخلة + العيون = الأرض**،، فالأب مالئ عيون الشاعر إذ يراه كنخلة باسقة لا تغادر عيونه(مزروعة في عيوني) وهو دليل لإحساس مرئي راسخ لدى الشاعر يرى في كلّ شامخ والده ويستمر هذا الإحساس حتى نهاية القصيدة:

سلامٌ على ضوء الهدى

تجذّر في الحشى

على دمع النخيل يقبّلُ خدّ الأسى

على دفء الندى تمدد في قلب الثرى

فاستطال فضيلة تَهِبُ المدى

ألق الصفا(10)

على الرغم من رحيله بقي الأب واقفاً حتى مع قهر الزمان والدموع واستطال محملاً بمعاني الفخر ودفء الندى ، ومن ذلك سار اللفظ(نخلة)في النص على مستويين: طبيعي وايحائي ، وهذا ما قام به الشاعر لربط المعنيين والخروج بصورة متماسكة مثقلة بمعاني القهر وحزن الفقد.

الرمز	المرموز له	ايحاء الرمز
↓	↓	↓
النخلة	أب الشاعر	الفخر والعلو والشموخ

ويأتي رمز النخلة وهو يدلّ على الوطن الأم التي تمدّ الشاعر بحليبها في ومضة بعنوان (**وطني**):

أمٌّ زرعت طيبها تحت ضميري

نحتتني وطناً

وحقول وفاء

غسلت قحطي

بحليب النخل[11]

إذنْ يمثل رمز النخل – هنا - العطاء الممزوج بالرحمة والنقاء ؛ لأنّ الشاعر ربطه بسجايا الأم الحانية على أولادها وهو تماسك نابضٌ بالحيوية والتأثير ، حركه الشاعر بحيوية عالية على الرغم من قصر النص.

4- تماسك النص بتوظيف رمزية الثعبان

ويتخذ من الثعبان زمنا مخادعا يحاول أن يتوارى عنه فيقول:

لكنَّ الصمتَ الجائع يأكلُ ساقه..

يرقبني

أتلفتُ نحوي ، أشربُ ظلي

زمني ثعبانٌ غازلني

سأرافق ظلي

كي لا تبصره بعد مراهقة الثعبان[12]

تنبئ تتابعات الجمل عن نفس متألمة تشكو من قسوة الزمن الغادر إذ يحاول الشاعر إخفاء ظله ، وهذا الباعث جاء من إحساس سلبي من بعض ما يحيط به من الناس الناعمة اللسان القاتلة في فعلها ، وعلى ذلك فإنّ الشاعر إذا كان ((متهيئاً نفسيا لخوض العملية الإبداعية ، وأنَّ حاله النفسية ميدان تفاعل الواقع الموضوعي والباعث ، فإنّ التفاعل يتمخض عن نصٍ فني يبدعه ، على وفق ما يرغب)) [13] وقد اتجه إلى صورة رمزية ساقها في نسيج نصي تمثل امعاناً في الهروب من هؤلاء والاعتزال عنهم ، فيحيلنا الشاعر إلى الرمز المقارب لهذه المعاني ، فكان رمز (الثعبان) صورة

مكتنزة بالعمق الدلالي استهدفت مفاصل النص ، وعملت على تماسك أجزائه في تركيب نصي مكثف ومتداخل(مجاز + تشبيه).

زمني = أهل زمني(مجاز زماني) + زمني ثعبان = زمني كالثعبان (تشبيه)

وفي النص ذاته بوحٌ بالوحدة والانزواء(سأرافق ظلي) بعيداً عن أذى الحاسدين ، فحامت المعاني حول دائرة الرمز المكرر(الثعبان)وتفاعلت التجربة مع التركيب وتبدت في مسارب النص.

وينتقل رمز الثعبان إلى معنى آخر أكثر رعباً عندما يرتّل الشاعر غربته مفصحاً عن تجربته فهناك ليل ودم وهجرة ورعب...

برقٌ برقٌ ماتَ الليلة

عادتْ أوراق مطوية

تحضنُ أعواماً مدماة

ذات الجرح الملفوف أسى في كفن السر المنفي تهاجر

وتمطت اذرع ثعبان

تتقاسم رعبَ القرية[14]

5- تماسك النص بتوظيف رمزية العرّاف

ويتخذ الشاعر من العرّاف رمزاً للرجل الخبير بشؤون الحياة القارئ للغيب فيقول في قصيدة(موعدنا في حي الأمير):

قبل سنينٍ جاء العرّاف يذكرني

سأكونُ طليقاً

منْ يومي طاردت الريح المجنونة

لمْ اعهد إنّي أتمدد في ظلّي

أدركتُ اليوم حكاية ذاك العراف

ورسمْتُ بروحي خارطة الحب

فضوء يتكسر من خلف زجاجات الماضي

تغلغل في الروح يمدّ جمال العافية ربيعاً

أيّتها النار الكامنة بصمتي

مَن أشعلك الآنَ لتأكلي بَقيا حلمي

يا جثّة هذا الزمن الشاحب.. [15]

يمثل رمز العراف منطلقاً لسرد أحداث قصة عاشها الشاعر وفي الرمز إحالة على شخص أو إحساس كان الشاعر يعيشه أو يتوقعه ، ويشير النص إلى لقاء بعد هجر لسنوات بعيدة وفيه اتقدت جذوة الحب وتحققت نبوءة العراف(أدركتُ اليوم حكاية ذاك العراف) في نفس رمزي ممتد من هدوء الحاضر ليلتقي بنافذة الماضي المترعة بصخب الحب ، ومن ذلك فالمعنى((حصيلة استعمال الكلمة في اللغة من حيث وضعها في سياقات مختلفة)) [16] ، فتحرك النص من إطار الأثنين (الشاعر والعراف) إلى حوار آخر قام بين الشاعر والروح في صراع نفسي وأسئلة مفعمة بالحيرة والدهشة(أيتها النار الكامنة.. من أشعلك الآن.. يا جثة هذا الزمن الشاحب) فثمة تطور في مجريات النص يبدأ بالهدوء ثمّ يتصاعد بحركة عالية وتفاعل ينسجم مع الواقع النفسي المعيش.

ويبقى العرّاف ضمن فلك الناصح الخبير والموجه يقرأ الواقع ويلقي رؤاه وهو يمثل في ذلك حكيم القرية تلجأ إليه الناس ولا سيما النساء ، وله دور كبير في توجيه كثير من الأحداث:

قال العراف لهم يوماً:

من يتوارى عنه الدفء

فليدن من نار الشاطئ

أو من تشتدّ به حمى الآثام

فليغرف من ماء النهر [17]

بعد تقديم مشهد نصح العراف وتحذيره للناس بشكل جمعي ، ينتقل الشاعر إلى مشاهد بطلة قصيدته(ليلى.. رمز المرأة) مع العراف ، وهو انتقال مقصود من العام إلى الخاص يبين من خلاله ضعف المرأة وما تعانيه من تهميش لشخصيتها في المجتمع آنذاك ، وهذه القصيدة كتبت في الناصرية في 1988/6/5:

هل أنَّ المرأة ذؤبت[18] **وتجرّم؟**

أهل القرية في عذرٍ أخرس

و(ليلى) الرمز تلجأ للعراف ليرشدها ويضع لها خارطة طريق تسير على وفقها:

قال العراف رويدك يا ليلى

إنَّ الدربَ طويلٌ تحرسه الآفات

تحفّ به قطعان الدببة

وأما الارشاد إليه وحتى التفكير اليأس تتلقفه أفعى الموت

ويغتاله ثعبان الرعب.. (19)

ويستمر الحوار بين ليلى والعراف ، ليلقي الشاعر الضوء على جوانب ذلك الرمز وفاعليته في الحياة العامة لناس تؤمن بأخذ النصح والإصغاء لصوت الحكمة والعقل ، غير أنّ الشاعر لا يذكرُ تفاصيل وجزئيات الأحداث ، لكنّه يومئ إلى ما تتعرض له المرأة الريفية من عادات عالقة في ذهن المجتمع ، فتتقهقر إرادة المرأة أمام طوفان تلك العادات ، فصار رمز المرأة – هنا- دالاً ، بل طريقاً موصلاً إلى فهم مشكلتها ، وذلك يحتاج إلى تأمل ، والقارئ الاعتيادي ربما يجد المعنى تكتنفه بعض الضبابية ولا يمسك بأصل المشكلة أو الذنب الذي اقترفته (ليلى) ، فالشاعر - في النص- عالج مشكلةً اجتماعية بأسلوب فني بعيد عن التعبير المباشر:

قالت يا أبتي العرّاف لعطفك أرجو

فقوامي نبتة زيتون

تترقب دنيا مجهولهْ

وقفتُ في عالم صمتٍ

هل إنّي ذبحٌ ينوون معاقبتي (20)

6- تماسك النص بتوظيف رمزية (سنّمار)

ويستثمر رمز **سنمار** في قصيدته(وشم على خد العذراء):

كم الوقت؟

مضى والعسرة في رحم الأزمنة

يسيلُ التاريخ على شفة الوقت وتشتبك فصول الكلمات ،

ولكن..

للنعمان شقائقه الأولى في حلم أبوي

أودعها سنمار الآفل نحو غروب الموت (21)

يحاول الشاعر القاء الضوء على بريق مدينته(النجف)مهاد التاريخ القديم وبيان مكانتها مستجليا ما فيها من عمق تاريخي موازناً بين حاضرها المخيف في وقت كتابة القصيدة(1992) وما صاحب هذه السنة من أحداث وقتل ، وماضيها المتناقض بين جمالها ومنبت شقائق النعمان فيها وقتل النعمان لـ(**سنمار**) بعد بنائه قصر الخورنق ، وهو تماسك نصي جاء عن طريق تقارب الوقائع بين ظلم مَنْ بنى القصر وفقد حياته ، وبين المدينة بما اعطته للإنسانية من ألق حضاري وهي تئنُ تحت سياط الظلم بقتل أبنائها أو تعذيبهم ، وكلّ ذلك جاء برؤية الشاعر وإحساسه.

ثمّ تتحوّل دلالة رمز **سنمار** عند صباح عنوز من الأفول والغروب(سنمار الآفل نحو غروب الشمس) إلى دلالة الإشراق ، وهو ما يريده الشاعر لمدينته التي تشرق بتاريخها ومضمون تراثها:

من عين الوادي يشرق سنمار

يومئ نحوي [22]

وهذا التحوّل بالفعل النفسي عند الشاعر الذي يومئ بالاستقرار والهدوء النسبي جاء بحسب التفاؤل الذي يراه متحققاً في المدينة المعطاء ، وكلا القصيدتين تخصّ مدينته (خد العذراء)أحد أسماء مدينة النجف.

ثانياً: تماسك النص عن طريق الرمز الأسطوري:

الأسطورة ((تعني الحكاية الخيالية التي توجد عند الأمم في حالتها الأولى ومادتها اشخاص وحوادث فوق طاقة البشر وتدور فكرتها حول ظواهر تاريخية أو طبيعية)) [23] وتوظيف الأسطورة من الأساليب التي يلجأ إليها الشاعر الحديث في عمله الابداعي فبها يستطيع أن ينتج نصاً يستلهمه من حادثة نائمة ويحولها إلى طاقة شعورية متطورة ؛ لأنَّ((اللغة المتعارف عليها تضيق كثيراً بمحتويات النفس وغوامضها ومتضاربها)) [24] وهذا يعني الإفادة من عصارة تجارب سابقة(من مواقف وتصورات أو خيال..)وتلوينها بشعور المبدع لتقوم بدور المضيء الذي يمنح النص الشعري شحنة تأثيرية إضافية تستهوي خيال المتلقي لارتباطها بخفايا وموروث قد يكون موغل في القدم نقّبه الشاعر وصهره في بودقة النص.

وقد اعتنى الشعراء بهذا اللون من البناء(توظيف الاسطورة) ؛ لأنّه يمثل حضور الماضي في الحاضر ؛ فالأسطورة تمثل((فكر الإنسان وتجربته الكبيرة في مرحلة من مراحل تكوينه فإنها تمتلك القدرة-شأنها شأن كل التجارب الانسانية الكبيرة- على الحضور الدائم أو التجدد المستمر والالتقاء بتجارب الانسان في مختلف العصور))[25] وهذا التوظيف استهوى الشعراء العرب ولاسيما العراقيين منهم فبدأت بواكير توظيف الأسطورة على يد السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي.. وصارت جزءاً لا يتجزأ من بناء الشعر بوصفها سمة انتماء لزمن الحداثة ،أو بسبب اطلاع شعراء العصر الحديث على الثقافات الغربية التي لم تكن متاحة إلى من سبقوهم من الشعراء العراقيين وقلة الوارد من الكتب الادبية الاجنبية للعراق بسبب الظروف السياسية والاجتماعية آنذاك[26] ، وثمة عاملان مهمان احدهما: يخص الشاعر إذ كان يرغب في اظهار ثقافته واطلاعه على التراث العالمي في الادب الغربي بخاصة ، والثاني: يخص المتلقي الذي انفتح على الثقافة العالمية ، فأصبحت الأسطورة تستهوي خياله التواق لمثل تلك الظواهر في الشعر.

وحسبنا القول إنّ الأسطورة أرض خصبة للشعراء في تقوية نصوصهم الإبداعية عبر التماسك النصي الذي يحدثه التوظيف الأسطوري ، فيربط الشاعر بين أحداث الأسطورة وبين ما يوائم تجربته وينسج نوعاً من التطابق المثمر من خلال نقل الوقائع الأسطورية الى صورة يرسمها متعلقة ومشابهة إلى حد ما بالأسطورة ، فيوظفها ((توظيفا فنيا، ولا يفيد نظمها نظما خاملا دون أدنى تحوير فيها ،أو قل: إنّه لا يتحدث عنها من أجلها، بل يتحدث عنها لخدمة رؤيته الى الكون والواقع معا، فبها وبغيرها تتجلى هذه الرؤية وتنكشف)) [27] والربط غالبا ما يكون ربطا نفسيا ، وحركة شعورية تقوم بتحديد نوع الأسطورة ودرجة سطوتها على العمل الفني بحيث يؤلف حضورها قوة فاعلة وإضاءة لمجريات الصورة. وقد تنوعت الأسطورة وتعددت مصادرها في شعر صباح عنوز فاستلهم الأسطورة العربية واليونانية وغيرهما..

1- تماسك النص بتوظيف أسطورة انكيدو

تمثل ملحمة كلكامش معيناً ثراً للشعراء المعاصرين ؛ لما تحمل من سمات إنسانية كالقوة والصلابة والتضحية والجمال الروحي والصداقة النقية ، وشخصية انكيدو التي تحدّث عنها الموروث بأنّها رمز الوفاء، وما تملكه من ملامح اثارت خيال الشاعر صباح عنوز فاستلهمها عبر حوارية بين الفكرة والهذيان والجسد بقوله:

الفكرةُ: للهذيان المحترقُ صوتٌ

ودخان يتسلقُ طعم الكلمات

يفتشُ عن عن جسد الحب

يشاكسه

الهذيان: انتظري

من قتل المؤمن عمداً

ألفاظ عموم

حرمتُ عليكم نوم الريح

انطلقوا في حنجرة الجوع موائد صيف

لا ماءٌ يذوب

ولا...

لا عطش يصوم معي

أتسلل عبر خلاياك

وانثر نفسي فوقَ جراح الرمل

الفكرة: انظر في عين الليل

تضيء مواسمه المتراكمة كساداً

في عمقِ الجسد

الجسد: الصمتُ يكوّرني جدباً

اتفجرُ عينَ وفاءٍ

انكيدو يملأُ ذاتي

تعصرني الغربة رفضا وتمرد أمواج[28]

يقفز الرمز ليتناغم مع حركة الدلالات النفسية المشعرة بالضيق الذي يقطر تعباً(..لا عطش يصوم معي ،، انثر نفسي،، في عمق الجسد،، الصمت يكورني جدباً) وتعامل الشاعر مع هذه الدلالات بإحساس عميق ألقاها وأعلن تمرده عليها بإظهار صلابته بوجه ذلك الواقع(اتفجر عين وفاء) فهو لا يشعر بالانتكاس صلباً ينبض بالوفاء كانكيدو(انكيدو يملأ ذاتي) على أنّ هذه الأوجاع لا تشعره بالإحباط والاستسلام على الرغم من الغربة التي صنعت منه شاعراً رافضاً متمرداً على غصص الزمن ، وبذلك فالأسطورة المتمثلة بانكيدو لا تنبو في السياق النصي الرابط بين الأسطورة وذات الشاعر الذي شبه نفسه بانكيدو ليجعل من النص الشعري((موضوعا حسياً يتصف بالتماسك والانسجام من ناحية، كما أنّ له مدلوله الباطني الذي يشير إلى موضوع خاص ويعبر عن حقيقة روحية من جهة أخرى)) [29] أحسّها الشاعر وانفعل معها وأخرجها معتقة بالاغتراب الروحي(تعصرني الغربة رفضاً وتمرد أمواج..)

2- تماسك النص بتوظيف أسطورة الغول

والغول أسطورة من أساطير العرب استعملها الشاعر القديم في شعره ، وجاءت عند صباح عنوز في بداية قصيدته(قلق) إذ يقول:

غولٌ يستعمر ذاتي

يملك... نصف حياتي

.....نفسي

يأكلُ..... لحم العمر

دمائي....

حينَ جعلت ضلوعي سقفاً لحرائقه

لكنه يهذي

ويطاردُ أشتات الروح الصغرى

ينوي أنْ يقتات بقاياها

كي يملك أسمي... [30]

الغول أو السعلاة عند العرب((نوع من الشياطين تظهر للناس في الفلاة فتتلون لهم في صور شتى وتغولهم أي تضللهم وتهلكهم..)) [31] استعار الشاعر هذا الرمز للتعبير عن عدوٍ لم يصرّح باسمه رغبة أو رهبة خبأه بالاستعارة(هو "فلان" **أو** هي "فلانة" = غول) واشار للمستعار له ببعض الألفاظ التي توميء بأنَّ المرموز له بالأسطورة قريبٌ منه حدّ الاندماج ، وهو باعث جبار حثّ نفسية الشاعر على تبني ألفاظاً معبرة عن حاله الشعورية(يملك نصف حياتي/ نفسي / يأكل لحم العمر / دمائي..) فضلاً عن وجود الفراغات النقط(...) في النص و هي علامات توحي بكلام

كثير أخفاه الشاعر وتركه للمتلقي ، وهذا ما ينبئ عنه عنوان القصيدة(قلق) فنفس الشاعر متوجسة مضطربة لا تستطيع ستر ذلك القلق الذي يستمر في الحال أو المستقبل وقد أثار هذا الإحساس لدى متلقي النص طغيان الأفعال المضارعة=7(يستعمر/ يملك / يأكل / يهذي / يطارد / ينوي / يملك) بإزاء فعل ماض=1(جعلتُ) فالهاجس ممتد يجره الشاعر إلى المستقبل ، وبهذا تكون أسطورة **الغول** محوراً عمودياً متسلطاً على عناصر النص الأفقية ، فأصبحت المعاني مرتبطة دلالياً بنقطة الانطلاق.

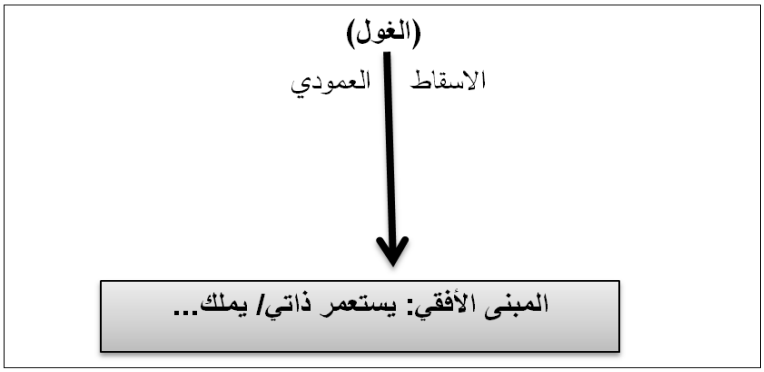

وفي النص تماسك قوي جاء عن طريق الاحالة القبلية بالضمائر المستترة في الأفعال المضارعة السبعة على الشخص المتواري في الاستعارة(الغول) وهذه الاحالات أسهمت في حيوية النص واستمرار فاعليته ، لأنّ الإحالة تعدّ ركناً مهماً من تماسك النص.

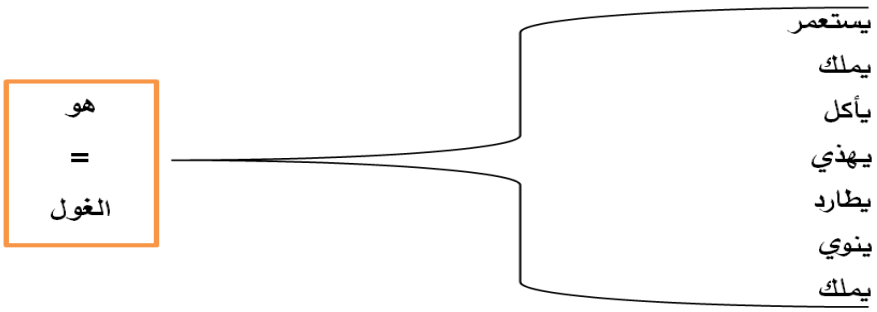

3- تماسك النص بتوظيف اسطورتي (عشتار وعوليس)

يقول الشاعر مستثمرا الأسطورة ومعبرا عن حاله بعنفوان وتحدٍّ:

جمعتُ خلاصة عمري ورحلت كطير

يبحثُ عن عشٍّ مفقود

عذراء قريش تبحثُ عن وطنٍ روحي

في رحلة عشتار

أو ما قالَ السياب

(عوليس مع الأمواج يسير

والريح تذكرة بجزائر منسية)

سرتُ وأسراري تسبح في سيل النار

أردّد من يعلمُ مكمنُ عشي

في الأركان الموتى يرقد(32)

يتبنى الشاعر الرمزين الأسطوريين(عشتار،، عوليس) ليجعل منهما إطاراً يغلف مواقفه النفسية العميقة في تجلٍ شفيف تحفه دلالات سياقية تفصح عن روح تحمل تحدّ وقوة واصرار ، فيترك للمتلقي مهمة الربط واستكناه احتمالات التركيب وانعطافه الأسطوري ، فالشاعر حرّ(كطير) يبحث عن الجمال والحب في توظيف واضح لرمز عشتار البابلي ، ولا يكتفي بهذا الرمز بل يقترض رمزا آخر من السياب ليضرب عصفورين بحجر ، فيفيد من رحلة السياب الذي أضناه المرض والغربة ، ولكنَّه بنى لنفسه مجدا شعرياً ، ويفيد أيضا من رحلة **عوليس** البطل الأسطوري في ملحمة الأوديسة الذي تحمَّلَ الشدائد وصعد على المهالك لتحقيق هدفه الأسمى(الخلود) فأصبح بطل طروادة الفارس المنتصر في ساحات الحروب وفي أعماق نفسه التواقة إلى الرقي ، ومن هذه المقاربات النفسية بنى الشاعر عالمه الواسع بعيدا عن ترسبات العجز والتواني ، مستعملاً الأسطورة وسيلة لرسم واقع خاص به مستمدا ذلك من الأسطورة عن طريق الإحالة المقامية على رموز تاريخية شقّت طريقها بعمل وكفاح وجدّ(عشتار ، السياب ، عوليس) حتى وصلت إلى مكان يليق بتلك التضحيات والمعاناة وهذا ما يسعى الشاعر إلى ترسيخه بلغة إشارية رامزة هي ((لغة اقتراب مشترك من الشعري وحداثته يتمارى فيها المعنى بالمعاني ، وتتزامن الأزمنة في زمنها ، ويتفجّر الذّاتي بما هو أبعد منه واشمل)) (33). والمتتبع لشعر صباح عنوز يجد في مرحلة ما قبل سنة(2000)- تقريباً- نفساً محملة بأعباء الضيق والألم تكتنز بهما نصوصه الشعرية وهي رحلة بحث عن هوية ورسالة واثبات وجود.

المبحث الثالث: تماسك النص عن طريق الرمز بالقناع

من بين الأساليب التي يستعملها الشاعر الحديث في بنائه الشعري توظيف رمز القناع وهو أن يقترض رمزاً غير شخصه يتكلم عنه سواء كان ذلك خوفا أم هروبا أم بحثاً عن إثارة ، إذ يجد المبدع في الاختباء خلف القناع وسيلةً ناجعة لبث ما يرغب بثه في حرية واطمئنان أو لإظهار الأثر الثقافي لمبدع النص وسعة اطلاعه على التراث التاريخي والأدبي والأسطوري وغيره ؛ لأنَّ الخطاب في هذا الاتجاه يحمل معنيين: الأول: معنى لرمز القناع ، والثاني: صوت الشاعر المتواري خلف القناع ، وهذا النوع من الأسلوب يقترب من الفن المسرحي الدرامي ، إذ يستطيع الشاعر فيه((أن يقول كل شيء دون أن يعتمد شخصه أو صوته الذاتي بشكل مباشر ؛ لأنّه سيلجأ إلى شخصية أخرى يتقمصها أو يتحد بها ، أو يخلقها خلقاً جديداً ، وسيحملها آراءه ومواقفه، تماماً كما يفعل المسرحي الذي يختفي وراء أشخاص من صنعه يتولون نقل كافة ما يريد أن يقوله ، أو يوحي به)) (34) إلى المتلقي في بوحه الشعري.

ويرى سعيد الغانمي أنّ الالتفات في البلاغة العربية يعدّ لوناً من القناع الذي يتوارى فيه الشاعر خلف الضمائر أو في أسلوب النداء الذي يخاطب الشاعر فيه نفسه ، وأطلق على هذا النوع من الشعر بـــ(قصيدة التخارج) وضرب لنا مثلاً لقصيدة جرير أمام عبد الملك بن مروان:

أصحوتَ أمْ فؤادك غير صاحِ عشيّة همَّ صُحبك بالرواح[35]

ويرى أنّ الشاعر – في هذا البيت- كان يخاطب نفسه ومن العبث أن يخاطب الشاعر المتلقي[36] ، والحقّ أنَّ جريرَ خانه البناء في مراعاة سياق الحال(الموقف) ، إذ كان الأجدر به ألاَّ يخاطب نفسه أو يُوهم الخليفة باستعماله القناع في هذا المكان (أمام الخليفة العباسي) بألفاظ جافية لا تسمح له طبيعة الحال الذي أدى إلى غضب الخليفة منه فلكلِّ أسلوبٍ سياق يوضع فيه ويجب مراعاة ذلك السياق.

وفي ظل واقع الحياة المتحضرة والتطور الحاصل تحتّمَ على الشاعر الاتجاه إلى تبني تقنيات فنية تلائم مستوى المتلقي الثقافي ، ويربط المعنى مقامياً مع لغة النص المحيلة على الرمز خارج نصه الشعري في اتصال معنوي شديد بين الرمز المرجع المحال عليه و(أنا) الشاعر ، وهذا ما يجعل النص متماسكاً يرفلُ بالاستمرار الإبداعي والحداثة الشعرية ، وهو ما يبحث عنه الشاعر ، ومن هنا ظهرت قصيدة القناع بوصفها((أحد أوجه هذه الحداثة الشعرية)) [37] التي تستهوي الشاعر الحديث. ويتوارى الشاعر صباح عنوز خلف أقنعة متنوعة منها ما هو تاريخي أو أدبي أو أسطوري.. وغيرها. ومن أقنعة الشاعر استعماله لرمز الحلاج ، يقول في قصيدته(**الحلاج.. يستغيث**):

الصمتُ صلاةٌ وجحود

ونشيدٌ يتأبطُ سر الموتى

أجنحةُ النجم تراقصني على مددي

تطايرنَ غماماً

زبدُ التوبةِ إذ يتناسلُ في صدري

الآتي يناجيني من جرحِ اللاوعي

استشهدَ آخرُ جرحٍ بدمي فخذيني

لم يبقَ سوى نايي المحزون

ومحبرتي

في ذاكرةِ من... ما؟

وخيالات يتقيؤها فرط سكوني

سيدتي... أمسي تناثر قربي

ها أنا معصوب العينين فقوديني

نحو الرأس

إلى... مرحي[38]

الحلاج شخصية تاريخية أدبية صوفية تناولها- رمزاً- معظم شعراء العصر الحديث ؛ لما تحمل هذه الشخصية من أوصاف تدلّ على الثبات في المواقف والجرأة والتحدي ، إذ أنَّه صمد حتى أعطى حياته ثمناً لذلك الإصرار فَصُلِبَ وعُذِّب وقطعت يداه ورجلاه وقطع رأسه وأحرق جثمانه[39] ، وقد كان يعاني من جور أهل زمانه وقلة بصرهم وتربصهم به.

لجأ الشاعر في هذا الرمز (شخصية الحلاج) مفيداً من ذيوعها وشهرتها الواسعة ، بيد أنّه لم يقف على جزئيات هذه الشخصية كلّها أو يتقمصها حرفيا ، وإنّما طوّر في استعمالها الرمزي ليكون نصه أكثر عمقا وأوسع تكثيفاً ، فدلالة الصمت في قوله:(الصمت صلاةٌ وجحود) لها معنيان متقابلان: (صلاة x جحود) أي طاعة ونكران ، فهو غير مرغوب به في كل الأوقات ، ويتصاعد ذلك الشعور ليصبح الصمت(نشيداً يتأبط سر الموتى) وتبرز الذات المستقلة في الضمائر الدالة على الشاعر والمحيلة عليه لاستجلاء سخونة الإحساس بالقلق المفزع(مددي ، تراقصني ، يناجيني ، بدمي ، فخذيني ، نايي..)وفيها انفصال لا يبتعد عن عباءة الرمز ، فيرى نفسه وهي تصعدُ سلم الرقي(أجنحةُ النجم تراقصني..) لكنّ اشعاعات شخصية الحلاج واصداءها الروحية لا تفارقه فيعود حاملاً ثقل معطيات تلك الشخصية(زبدُ التوبةِ إذ يتناسلُ في صدري) ثمّ يحاول الامساك بالبؤرة الأساس المتسقة مع عنوان القصيدة(الحلاج يستغيث) مجسدة في تماسكها النصي في ظلّ الشعور بتصارع الآلام والشكوى(استشهدَ آخرُ جرحٍ بدمي فخذيني) والإحساس بالوحدة و الاغتراب المكاني(لم يبقَ سوى نايي المحزون.. ومحبرتي) وهذه المعاني تمثل المعادل الموضوعي للحلاج الذي ظلّ يصارع الأهوال لوحده ، على أنّ الشاعر يرفع شكواه إلى امرأة يحسها قريبة منه(فخذيني.. سيدتي..) يريدها أن تنقذه وترشده(فقوديني) من ضياع نفسه ، وهذا الإحساس لا يخلو من دلالة الضيق والتعب واللوعة.

ولما كان المجتمع العربي الحديث – في الأعم الأغلب- يقدِّمُ التابع ليمسك زمام الأمور وتُزوى المواهب جانباً حتى وصل إلى هذا التردي المزري الذي يعيشه الشاعر بألم ، الأمر الذي قاده إلى الرمز لتصوير ذلك الواقع ، فانتقى (**الخيول**) قناعاً تقطن فيه(الأنا)الداخلة في قناع (نحن)الجمع ، فيقول في قصيدته(**الخيول آه الخيول**):

كلتْ عن الطراد

والذيول آه الذيول

يلعبون بالألجمة

يلحسون الأحزمة

والقشور تقشر

والمرح على شفة اللظى يتجمهر[40]

يصور الشاعر نفسه وغيره من المواهب في زمن يسودُ فيه التافهون (الذيول) ، بل ويتحكمون بألجمة الخيول(يلعبون بالألجمة) وهو واقع ابتُليت به الأمة حتى وصلت إلى هذا الحدّ من

الإسفاف ، وأنَّ التملق والتزلف المقيت هو الذي يجعل من الذيول فرساناً ، وفي ذلك سحقٌ للمبادئ التي يسير بهداها الكون ، وقد أجادَ الشاعر في تناول ذلك المعنى ، فكانت الاستعارة (أنا والمواهب= الخيول)بالقناع أكثر تعبيراً عن ذلك المعنى ؛ لأنّ الاستعارة بحسب ما يرى ريتشارد((الأداة الرئيسية التي ترتبط بواسطتها الأشياء المتغايرة وغير المرتبطة))[41] ، فالقناع رمز الأصالة والسمات العالية بخلاف التلميح بالاستعارة لرمز الطارئين أو المزيفين(المزيفون= الذيول) الذين تبوؤا مناصباً لا يستحقونها ، وقد حشد لهذا المعنى رموزاً لغوية وفق في ضمها إلى نصه الشعري(القشور.. اللب) فعززت رمز القناع في كشف أضرار هؤلاء الذين يتلونون ويرقصون على تعاسة غيرهم(والمرح على شفة اللظى يتجمهر). على أنّ الشاعر خرج من ربقة القناع ليتوجه إلى ذكر أوصاف بعض أولئك المزيفين:

آه من ذاكَ الأصفر

من ذاكَ المتجر

من وجهك المحدّب

من شعركَ المرتب

من لسانكَ المذبب

آه من فورة العطر

من كذبةِ العصر[42]

ويشير الشاعر إلى المرموز إليه بإشارات غير واضحة أو صريحة غير أنّه يدور حول تلك الشخصية المتطفلة الخبيثة(.. من ذاك الأصفر) ذي الوجه المحدب والشعر المرتب والعطر الجميل واللسان المغري السريع(المذبب) وهي أوصاف لا يخلو منها أي منافق وصولي يأنف منها صاحب القناع حتى وصفهم بـــ (كذبة العصر) على أنّه لا يترك صورة القناع فيكررها- في القصيدة نفسها- بشكلٍ يُفصح عن بعضٍ من ملامحها:

والخيل تصهلُ في الصباح بلا لثام
آه الخيول
نواصيكَ عالقة بغرة الغيم
عرفتك لا تقبلين التدجين
لا تحملين الهجين
تنفقين ما تملكين
من الركضِ
من الرفضِ
ثمّ يبقى ذيلك ينشُّ الذباب

فـــ(الشاعر ونظراؤه= الخيل) الواضحة التي تعمل مكشوفة في الضوء(بلا لثام) مرتفعة الرؤوس وهو بذلك يبقي العلاقات قوية الاتصال تدور حول المحور(القناع) فالصهيل يستدعي النواصي العالقة بغرة الغيم ، وبذلك تكون الألفاظ ظلالاً للشاعر الرافض للخضوع والاحتواء ، فنفى عن نفسه ذلّة المواقف بإسناد الأفعال إلى الخيل(لا تقبلين التدجين ، لا تحملين الهجين ، من الرفض..)

حتى توّجَ نصه بصورة كنائية رائعة(ذيلك ينشُّ الذباب..) وبهذا أدى تماسك الألفاظ إلى تماسك القضايا في النص الأمر الذي أثّر في رسم الصورة التي كان القناع سبباً في تكوينها وتأثيرها الإبداعي.

وقد يتخذ من **العراف** قناعاً يبث من خلاله اللواعج النفسية ، وهو استبطان لما تقدمه الشخصية من إذكاء حال من الاستقرار النفسي:

قالَ العراف:
الريحُ بلا ريشٍ
الريحُ مناقيرٌ جائعةٌ تتسربل ألمي
ألمي الأخرس يزعقُ في صدري
من منح الأخرس تمتمة الكلمات
الوقتُ مرايا ، الناسُ خطوط ، لوَّنها الطيف الوقتي
مَن يُمسكُ لونه؟ (43)

يمثل **العراف**(قناع الشاعر) الذي يقرأ ما في النفس أو المجهول ، وقد كَثُر هذا الرمز في شعره حتى أصبح في بعض القصائد رمزاً مهيمناً ، وفي هذا النص ينسب القناع للغائب(قال العراف: الريش بلا ريح) ثمّ يبدأ بصنع فضاءه متخليا عن القناع ومصرحاً بما تكنّه النفس من خلال إسناد ضمائر المتكلم(ألمي2 ، صدري) ويقوّي ذلك الإحساس ويوسع إيحاءه الربطُ بعناصر البيان عن طريق التماسك المجازي بالحذف الاستعاري{ **قال العراف=(الشاعر)** + **الريح بلا ريش= الطائر**} فهناك فراغان في الصورتين الاستعاريتين يملأهما المتلقي فترتسم صورة كاملة في ذهنه كما يريدها الشاعر الذي عاش تجربتها في نفسه ؛ لأنَّ الصورة – كما يرى غاستون-((ومضة من الروح))(44) ، ويتجه إلى التشبيه البليغ المكثف(**الريحُ مناقيرٌ** + **الوقتُ مرايا** + **الناس خطوط** لوَّنها الطيفُ الوقتي) وهذه الإحالات النصية تضعنا بإزاء شاعرٍ يشكو من وطأة الوجع الماثل في النص من تكرار لفظ الألم الموحي عن عالمه الداخلي الذي لا يفارق ذلك الألم في معظم نصوصه.

وفي نصوص أخرى نجد الشاعر يتقمص نفسه ويجعل منها قناعاً في بناءٍ سردي :

قال الظلُ:
الريحُ تبعثرُ أوجاعي
وبقايا من وردِ النعمان
القادمُ مذعوراً
فرّ القادم من فك الريح
سَكِينَتَهُ سِكِّينَته
عكازته قَلَق الوادي
من عين الوادي يشرق (سنمار)
يومِئُ نحوي:
حرمتُ عليكم نوم الفجر
انطلقوا في حنجرة القلق موائد صيف(45)

يَنسبُ القول للظل وهو صوت الشاعر المختبئ داخل نفسه ، وقد أوكلَ القناع (**الظل**)للتحدث عنه وهو إنصات لهمس الألم الذي يموج في صدره ولصوت الأنا القابع في النفس وفي تركيب لغوي يقدمه في صياغة نصية محكمة ؛ لأنَّ ((النص شبكة لغوية معقدة ذات نظام تركيبي خاص)) (46) وثمّة علامات نصية تثبت صحة استتار الشاعر خلف ظله (القناع) ، ومنها ما ورد في مجموعته الشعرية وبعد عنوان قصيدته(ما دونته نور على خط العذراء) جاء عنوان فرعي(القسم الأول: صوت العناء) (47) كذلك قوله في القصيدة نفسها:(أتلفت نحوي ،، أشرب ظلي) ففي خطاب الشاعر شخصيتان تنبثق من نفسه ، وهذا التشبث بالعناء هاجس الشاعر الذي استمدَّه من قسوة الحياة التي جرَّبَ ضيقها وصارع محنها على أنّ مع هذا الإحساس تظهر غالبا معوقات تحاول كسر جماح تلك النفس التواقة

للرقي ، ففي النص تبرز الألفاظ(الريح2 ، الأوجاع ، الذعر ، القلق2..)وهي محبطات تعيق سبل الشاعر فتظهر تلك المعاني مُأطّرة بأساليب بلاغية:

الأسلوب البلاغي	نوع الأسلوب
1- قال الظل	= استعارة بالرمز (القناع)
2- الريح تبعثر أوجاعي + فك الريح	= استعارة بالرمز (الريح)
3- سَكينَتهُ سكينَته	= جناس ناقص
4- يشرق سنمار	= استعارة بالرمز
5- حنجرة القلق	= تشبيه بليغ بالإضافة
6- حنجرة القلق + موائد صيف	= تشبيه بليغ

وهذا التكثيف بالأنماط البيانية وسّع من عمّق الخيال الماسك لأجزاء الصورة ، إذ بدأ سلسلة النص رابطاً بين القول ومقوله(قال الظل: الريح..)في السطرين الأول والثاني ويستمر في التماسك فيربط السطر الثالث بالثاني عن طريق التماسك بالحذف النصي في جملة(و..بقايا من ورد النعمان = و ***الريح تبعثر*** بقايا من ورد النعمان)فعطف بالواو وهي رابطة نصية ، وحذف جملة المبتدأ والخبر(الريح تبعثر).

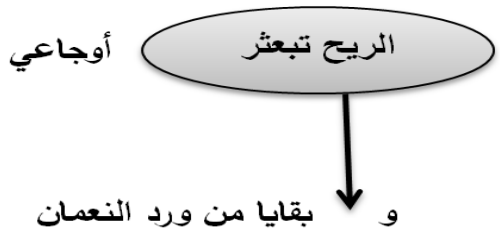

ويربط النص معجميا عن طريق التكرار في ألفاظ(الريح2،، القلق2،، الوادي2)وثمَّة ربط بالتشاكل اللفظي(سَكِينَتهُ سِكْينَته)والذي اطلق عليه سعد مصلوح **شبه التكرار** وهو ما يقوم((في جوهره على التوهم ؛ إذ تفتقد في الوقت نفسه العلاقة الصرفية القائمة على الاشتقاق أو تغاير صرفيمات الاعراب)) [48] وهذه الشبكات من الاتصال في مفاصل النص ولّدت ثروة لغوية منحت التقاطات الشاعر انبثاقاً دلالياً أسهم في تعميق دينامية التفاعل بين التجربة التي يعيشها وبين الألفاظ الحاوية لتلك التجربة ، فالرمز يسمح بإنتاج معنى أكثر سعة لحال الشاعر.

الهوامش

(1) ينظر على سبيل المثال: دير الملاك:121. الرمز في الشعر الفلسطيني (رسالة ماجستير):6 .الترميز في شعر عبد الوهاب البياتي:13.. وغير ذلك كثير ممن تناول هذا المصطلح.

(2) دير الملاك:121.

(3) هو الأستاذ الدكتور صباح عباس جودي عنوز ، ولد في النجف ونشأ فيها ، أستاذ البلاغة والنقد في كلية الفقه– جامعة الكوفة وكان عميد كلية الفقه فيما سبق. نظم الشعر منذ صباه ، له عدة دواوين مطبوعة منها: (سأعير عينيك انتظاري ، و ما دونته نور على خد العذراء ..وغيرها)وجمع شعره في ديوان واحد أطلق عليه(من يحتسي الشوق).

(4) من يحتسي الشوق:11.

(5) النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته ، أحمد زكي أبو شادي:74.

(6) من يحتسي الشوق:112.

(7) الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني:27.

(8) من يحتسي الشوق:17.

(9) الخيال مفهوماته ووظائفه:325 .

(10) من يحتسي الشوق:18 .

(11) من يحتسي الشوق:185 .

(12) من يحتسي الشوق:260 .

(13) أثر البواعث في تكوين الصورة البيانية:33.

(14) من يحتسي الشوق:133 .

(15) من يحتسي الشوق:115 .

(16) مبادئ اللسانيات ، أحمد محمد قدور:353 .

(17) من يحتسي الشوق:177 .

(18)(ذؤب) ذآبة صار كالذئب خبثا و دهاء(المعجم الوسيط:639/1).

(19) من يحتسي الشوق:178 .

(20) من يحتسي الشوق:179 .

(21) من يحتسي الشوق:290.

(22) من يحتسي الشوق:259.

(23)أحلى الأساطير الإغريقية:19.

(24) الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي:45.

(25) دير الملاك:121–122.

(26) ظ:دير الملاك:22.

(27) توظيف الاسطورة في الشعر الجاهلي ، د. وهب رومية ، مجلة التراث العربي ، مجلــة فصلــية محكّمــة تصــدر عن اتحــاد الكتّاب العــرب بدمشــق ، العدد: 93-94/2004 :40.

(28) من يحتسي الشوق:214 .

(29) مشكلة الفن ، زكريا ابراهيم:27 .

(30) من يحتسي الشوق:124 .

(31) المعجم الوسيط: (غول) 676/2.

(32) من يحتسي الشوق:173 .

(33) في القول الشعري ، يمنى العيد:370 .

(34) دير الملاك:103 .

(35) ديوان جرير:87 .

(36) ظ: أقنعة النص:58-59 .

(37) في القول الشعري ، يمنى العيد:382 .

(38) من يحتسي الشوق:143-144 .

(39) ظ:أسطورة الحلاج ، سامي أرطبيل:18.

(40) من يحتسي الشوق:309 .

(41) الشعر والتجربة:88.

(42) من يحتسي الشوق:309- 310.

(43) من يحتسي الشوق:261.

(44) جماليات المكان:21.

(45) من يحتسي الشوق:259.

(46) كتابة الذات:7.

(47) ما دونته نور على خد العذراء ، مجموعة شعرية:11.

(48) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية:244.

ـالمصادر والمراجع

- أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية - شعر جميل بثينة نموذجا ، د. صباح عباس جودي عنوز ، دار الضياء للطباعة ،العراق- النجف الاشرف، ط1 ، 1428 - 2007.
- أحلى الأساطير الإغريقية ، خليل. ح. تادرس ، كتابنا للنشر ، لبنان(د-ت)
- أسطورة الحلاج ، سامي خرطبيل ، دار ابن خلدون ، بيروت ، ط1 ، 1979.

- أقنعة النص ، سعيد الغانمي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1991.
- الترميز في شعر عبد الوهاب البياتي ، د. حسن الخاقاني ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط1 ، 2013.
- جماليات المكان ، غاستون باشلار ، ترجمة : غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت ، 1414 - 1984.
- الخلاصة في مذاهب الدب الغربي ، د. علي جواد الطاهر ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1976.
- الخيال مفهوماته ووظائفه د. عاطف جودة نصر ، الشركة المصرية للنشر - لونجمان – القاهرة ، ط1، 1998.
- دير الملاك ، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ، د. محسن اطيمش ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، 1982.
- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف ، مصر ، ط3 (د-ت)
- الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني ، أمية حمدان ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، 1981.
- الشعر والتجربة ، ارشيبالد مكليش ، ترجمة : سلمى الخضراء الجيوسي ، مراجعة توفيق صايغ ، منشورات دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة - بيروت ، 1963.
- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية- آفاق جديدة ، د. سعد عبد العزيز مصلوح ، مجلس النشر العلمي – الكويت ، 2003.
- في القول الشعري (الشعرية والمرجعية ، الحداثة والقناع) ، د. يمنى العيد ، دار الفارابي ، بيروت ، ط1 _2008.
- كتابة الذات (دراسات في وقائعية الشعر) ، د. حاتم الصكر ، دار الشروق - الأردن ، ط1 ، 1994.
- ما دونته نور على خد العذراء ، (مجموعة شعرية) ، د. صباح عباس عنوز ، دار الضياء ، النجف الأشرف ، ط1 ، 1426 - 2005.
- مبادئ اللسانيات ، د. احمد محمد قدور ، الدار العربية - بيروت ، ط1 ، 1433 - 2011.
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، قام بإخراجه : د. إبراهيم أنيس وآخرون، دار الدعوة - تركيا(د-ت).
- من يحتسي الشوق(ديوان شعري)د. صباح عباس عنوز ، التميمي للنشر والتوزيع ، النجف الأشرف ، ط1 ، 1433 - 2012.

الرسائل الجامعية

- الرمز في الشعر الفلسطيني الحديث(1967- 1987) فاتنة محمد حسين الشوبكي ، (رسالة ماجستير) كلية الآداب- جامعة الكوفة ، 1999.

البحوث المنشورة في الدوريات

- توظيف الاسطورة في الشعر الجاهلي ، د. وهب رومية ، مجلة التراث العربي ، مجلة فصلية محكّمة تصدر عن اتحاد الكتّاب العرب بدمشق ، العدد: 93-2004/94 .